

علاقة اللسانيات المعاصرة بلسانيات التراث

The relationship of contemporary linguistics with heritage linguistics

أحمد بونيف*¹¹ المركز الجامعي نور البشير – البيض- الجزائر

a.bounif@cu-elbayadh.dz

تاريخ النشر: 2025/03/31

تاريخ القبول: 2025/02/26

تاريخ الإرسال: 2023/09/16

الملخص:

تعدّ اللغة ظاهرة عجيبة رافقت الانسان منذ وجوده الأول على هذه الأرض، فاستخلص من ظواهرها قواعد وقوانين تضمن التواصل مع غيره عبر العصور والأمصار، وانتجى في دراستها نهجين نهجا قديما قدم وجود الإنسان وأسماء تراثا، وآخر جديدا امتدّ مع حركية الحياة، ولم ينحصر في القبيلة أو المجموعة أو اللغة الواحدة فقط، بل اتخذ طابع العالمية، وأطلق عليه مسمى اللسانيات، ذلك أن هذه الأخيرة في أوجز معانيها أنها الدراسة العلمية للغة.

وعليه نتساءل هاهنا ما حقيقة هذا الترابط بين التراث واللسانيات؟ ثمّ الى أيّ مدى يمكن الاستفادة من الدرس اللساني الحديث في تطوير علوم العربية القديمة؟ أو صناعة درس لساني خاص، أم أن الفائدة من اللسانيات الحديثة تظلّ مجرد التعامل مع العربية كحقل تطبيقي لا غير.

كلمات المفتاحية: التراث، اللسانيات، العالمية، الترابط، الحقل التطبيقي.

ABSTRACT:

Language is a strange phenomenon that has accompanied man since his first existence on this earth. He extracted from its phenomena rules and laws that ensure communication with others across the ages and countries. He took two approaches in studying it: an old approach that is as old as the existence of man and called it heritage, and a new approach that extended with the movement of life. It was not limited to the

tribe, group, or one language only, but rather took on a universal character and was called linguistics, since the latter in its most concise meanings is the scientific study of language. Accordingly, we ask here what is the truth of this connection between heritage and linguistics? Then to what extent can we benefit from the modern linguistic study in developing the sciences of ancient Arabic? Or creating a special linguistic study, or does the benefit of modern linguistics remain merely dealing with Arabic as an applied field and nothing more.

Key words: Heritage, linguistics, universality, heritage, applied field.

1 - مقدمة:

اللغة ظاهرة من أعرق مظاهر الحضارة الإنسانية أو أكاد أجزم أنها هي أصل الحضارة ومنشئة الرقي والتطور، لأنها تشكل الحدّ الفاصل بين شعب وشعب، أو أمة وأمة ذلك أنّه حين يتجاوز الناس فإنهم لا يتكلمون اللغة فحسب، بل إنهم قادرون على تأليف مجتمع متماسك موحد تظل اللغة فيه حتمية قوامه، لأنها حاوية الفكر والروح والقيّم.

لقد حاول العلماء والمفكرون منذ القدم أن يسبروا غور هذه الظاهرة الفريدة العريقة في حياة البشر، وأن يكشفوا عن مكنوناتها وأسرارها، ولا أدلّ على عراقتها وأصالتها استمرار الاختلاف والخلاف حول أصلها ونشأتها. إنّّه منذ بدأ الإنسان يفكر في اللغة وباللغة مازالت تتحدى، فتدفع بالدرس إلى مزيد من التحليل والتفسير، فظهرت التصنيفات هذا تراث وهذا تجديد هذا تقليد، وهذا تحديث وتبديع، ويظل الواقع هو من يعكس حقيقة هذه الدراسات، وتحت ضوء هذا نتساءل:

ما أصل العلاقة بين التراث و اللسانيات الحديثة؟ ، وهل الدرس اللغوي التراثي يحتاج الى تجديد وفق هذه اللغة المعاصرة،؟ بمعنى أنه إذا كانت لغة التراث لغة أصيلة فصيحة استقرأها النحاة ومنها استخرجوا قواعد، وعرفوا سمت وسنن العرب في كلامها، فهل هذا الأمر يجري أيضا على هذه اللغة الحاضرة المعاصرة؟ التي لا يشكّ أحد في أنها أقل درجة من حيث الأصالة والفصاحة والمتانة من سابقتها التراثية.

سنحاول الإجابة على التساؤلات إن أمكن من خلال:

- اللسانيات بين الدرسين اللغويين التراثي والحديث

- مقاربات التكامل بين الدرسين اللغويين القديم والحديث

وقبل أن نصير الحديث الى مفهوم اللسانيات لا بد من الإشارة الى أهمية اللغة العربية، حيث تتبوأ مكانة خاصة في قلوب المتكلمين بها فقد كان من يتكلم من غير العرب يعد من الطبقة المثقفة، ولنا في تاريخ الأندلس قبل سقوطها الأمثلة الكثيرة، وازدادت هذه المكانة رفعة في عقول الدارسين بعد أن نزل القرآن الكريم ناطقا بها، فتحوّلت بذلك من لغة حديث وتواصل إلى لغة عبادة وحياة معا.

2-1 مفهوم اللسانيات:

يعرّف علماء اللغة في العصر الحديث اللسانيات ،أو علم اللغة بأنه العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية¹، و نتساءل هاهنا أمام المصطلحين "اللغة" و "العلمية" فالعالم لا يتكلم لغة واحدة ،بل مشارب الناس و مناهلهم في هذا مختلفة و هذا الذي يصدقه قوله تبارك و تعالى :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الروم (22) ، فإذا كانت اللغة تختلف و تتميز بحسب القطاعات الجغرافية ، فلكل قوم لسان، ثم الجزئية الثانية من الإشكال و المتمثلة في علمية اللغة ،أو المنهج العلمي ،و الذي هو مجموعة من الإجراءات و الأساليب التي يعتمد عليها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة² ، فبييت أن التجريد و التعميم هي من مخرجات البحث العلمي ، حيث التجريد يقصد به الخصوصية و التعميم يقصد به العلمية ،و الحقيقة العلمية عامة ومجردة³ ، لأن الاستقرار الناقص هو الذي تثبت به القوانين ،فيصير أن الدراسة العلمية للغة ليست هي المعرفة بخصائص لغة معينة ،و إنما هي دراسة الظاهرة الإنسانية المعروفة باسم اللغة .

لقد كانت الموضوعية عند أصحاب المدرسة اللغوية الحديثة هي عينها التي يطبقها أصحاب العلوم الأخرى مثل الكيمياء و الفيزياء و الطبيعة و العلوم الاجتماعية⁴ ، غير أنهم فيما بعد اصطدموا بالمعنى في الدراسات اللغوية ،و وقفوا عند الشكل .

2-2. اللغة كحدّ من حدود التراث:

إذا كان توجه الفلاسفة و الأصوليين يختلف عن مظاهر اللغويين، فانه حري بنا أن نتتبع أثر التعليل النحوي أو الصوتي عند مختصيه من لغويين و نحاة ،لأن العلة عند الفقهاء ليست موجبة للحكم إنما هي دليل عليه⁵ ، أما النحاة فيستنبطون علمهم بالاستقراء من كلام العرب وقياس بعضه على بعض متجشمين في ذلك عناء البحث و الجمع و التحري و التدقيق وفق معطيات الحسّ والمشاهدة⁶. بدليل أنه "شاء للدرس العربي أن يتأسس كغيره على مبادئ النظر وأسس التبرير ، وتميّز علماؤه بأنهم معلّون"⁷ ، لأنّ اللغة مرتبطة بالفكر ، والفكر متّصل بالواقع ، والواقع يقوم على التقنيين والتععيد ،وفي هذه المتواليات يتأكد أنّ العلوم لا تقبل إلا البراهين والحجج

، "ولن تستقيم النتائج دون استقامة الدليل"⁸، أي أن الأسلوب الذهني أصبح ملجأ النحاة ومقصدهم حتى يتمكنوا من تفسير الظواهر الخفية ، والتدليل على ما يتحكم في ضروب المعطيات اللغوية من تناسق وانسجام.

2.3- أصول اللغة:

يعدّ الخليل بن أحمد (ت: 175هـ) مرجعية أساسية في النحو ، وحين نقول النحو نقصد بذلك محاولة البحث عن قوانين لغوية (صوتية ، صرفية ، نحوية ، ودلالية) تؤسس للمتأمل ما يسوّغ له قبولها ، ثم ينبري للدفاع عما اقتنع به منها ، فيقرر قناعاته بما اختزنه في عقله من أسس ومرجعيات.

لقد أخذ النحاة منذ عصر الخليل بدراسة النحو بمسائله وقواعده وأصوله و العلة والعلية واحدة من أهم أصول التفكير النحوي، وكلّ حكم لابدّ أن يعلل⁹ ، أي أنّ كلّ ظاهرة لغوية كلية كانت أو جزئية لابدّ لها من علة أوجدها، وأحياناً نافسوا في ذلك من أجل التحجّج ، واستنباط علل جديدة لم يعلل بها السابقون ، وهذا ما ظهر من خلال المناظرات .

إنّ البحث في التراث يُحيل إلى وجود أول مدوّنة هامة في تاريخ الدرس اللغوي، حيث ورد في هذه المدوّنة حديث مستفيض عن المعرفة المتعلقة بالتعليل اللغوي ، إنّه "الكتاب" لسيبويه الذي كان له فضل الجمع والاستيعاب والترتيب¹⁰ ، وقد ضمت المدوّنة أبواباً قيّمة في الصّرف والصّوت إلّا أنّها جاءت متفرقة ، وإذا كان الخليل مفتاح الخلق والابتكار¹¹ ، فإنّ سيبويه لاحظ صيغاً صرفية كثيرة لا يمكن تفسيرها إلّا في ضوء المعايير الصوتية¹² ، وذلك وفق تصوّر يحيل إلى بناء كامل وصرح شامل متماسك العناصر مؤتلف الأجزاء محكم الصياغة يضمن جسر التواصل بين أعلام اللغة كشرط من شروط تطوّر الدرس الصوتي خصوصاً واللغوي على وجه عام .

3- مقولات التكامل بين الدرسين اللغويين التراثي والحديث:

3.1- كرونولوجيا الدرس اللغوي القديم:

جاء الخليل في مرحلة اعتبر فيها الغاية في التخرج ، وبعده تلميذه سيبويه ، وظهرت المدرستان البصرية والكوفية ، ثمّ توالى أعلام آخرون من أمثال الأخفش الأوسط الذي اعتمد كتاب سيبويه عندما ألف كتابه "المقاييس" ، وبعده المازني صاحب كتاب "التصريف" ، ثمّ المبرد الذي عدّه ابن جني جيلاً في العلم ، ثمّ أبو عليّ الفارسيّ شيخ ابن جنيّ الذي يقال: إنّه انتزع ثلثي علل النّحو¹³ ، وكان توقفنا عند حلقة ابن جنيّ ، لأنّه نظّر عقلياً لمسار الدرس اللغويّ عموماً والتعليل الصوتي خصوصاً ، وذلك دون إغفال أعلام القراءات المجيدون خاصّة من جاؤوا بعد وفاة أبي الأسود الدؤلي (69 هـ) ، وهم طبقات من أمثال عنبسة الفيل ، نصر بن عاصم (89 هـ)، يحيى بن

يعمر (129هـ) ، عبد الرحمن بن هرمز ، خاصة ، وأنّ مؤرخي الأدب لم يقيموا الفواصل الزمنية بين الرجال والأعمال¹⁴.

إنّ الحس المرهف والذوق الرفيع من جملة ما توافر للأوائل سواء أقصدنا بذلك ابن جني أو غيره على عكس ما توافر للأواخر من الآلة والوسيلة، فكانت هذه الميزات سببا في ربط أواصر التكامل بين المدرسين اللغويين القديم بالحديث.

عندما نقف عند حقبة ابن جني نكون قد تبوّأنا دورة القياس وفلسفته¹⁵، هذا يعني أنّ ابن جني، وهو متأثر بمن سبقوه كالخليل وسيبويه وأستاذه أبي عليّ الفارسيّ يعدّ قديما مجدداً لأنّه أفرد للمجال اللغوي عموما و الصوتي خصوصاً أبواباً خاصة.

يقال: إنّ كتابه "الخصائص" إنّما هو مجموعة كبيرة من الأقيسة الشديدة¹⁶، يضاف إليها ما يربو أو يفوق خمسين مؤلفاً تبحث العلل والقياس، وتغوص في أسرار العربية، وها هو يحكي عن نفسه في مقدّمة "الخصائص"، و"ذلك أنّنا لم نر أحداً من علماء البلدين (البصرة والكوفة) تعرّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه"¹⁷، ومتحدّثاً عن كتاب "المقاييس في النحو" للأخفش الأوسط، فيقول: "إذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك أنّنا نبنا عنه فيه، وكفيناك كلفة التعب به، وكافأناه على لطيف ما أولناه من علومه المسوقة إلينا"¹⁸، ونحن إذ اخترنا هؤلاء الأعلام الثلاثة: الخليل، سيبويه، ثمّ ابن جني فإنّما يعدّ كل واحد منهم معلماً لحقبة زمنيّة تمثل مرحلة هامّة من مراحل الدّرس اللغوي في نشأته وتطوّره، فقد حكى ابن نوفل قال: "سمعت أبي يقول لأبي عمر بن العلاء أخبرني عمّا وضعته ممّ أسميته عربيّة أيدخل في كلام العرب كله؟ قال: لا، فقلت كيف تصنّع فيما خالفتك فيه العرب، وهم حجّة؟ قال: أعمل على الأكثر واسيّ ما خالفتني فيه لغات"¹⁹، فهذا الأطراد في العمل بالقواعد والحرص الشّديد على القياس يدلّك أنّ الذي جمع اللغة لم يجمعها كلّها، ولم يسمعها كلّها عن العرب، غير أنّه اعتمد القياس والتعليل في تصويب ما سمعه من خلال الذي سمعه.

أورد ابن جني في مؤلّفة "الخصائص" باباً أسماه باب "تخصيص العلل"، فيقول: "فقد علم بهذا أنّ زينة الألفاظ وحليتها لم يقصد بها إلا تحصين المعاني وحياطتها، فالمعنى إذا هو المكرّم المخدوم، واللفظ هو المبتذل الخادم"²⁰، وبعد أن يستقرّ اللفظ على هذه الحال، يقول في موضع آخر: "فإذا جرت العلة في معلولها واستتبّت على منهجها وأقّها قوي حكمها واحتى جانبها، ولم يسع أحداً أن يعرض لها إلا بإخراجه شيئاً إن قدر على إخراجه منها"²¹، فابن جني من خلال هذين القولين كأنّي به يحدّد أو يصف نوع العلة التي يجب أن يُحتكم إليها، حتى أنّه يرى أن فصلها بعضها عن بعض مردود و مردول عند أهل النظر²².

يستمرّ ابن جني في عرض العلل وتبسيطها، وهي في صورها الوارد في كتابيه "الخصائص"، أو "سرّ صناعة الإعراب"، حيث تخريجها غير لاحق بتلك التي أوضحتها كتب النحو، فهو تجاوز النحو القواعدي إلى حلقة النحو التركيبي الذي اعتمد فيه التنظير العقلي.

بناء اللغة على النحو التفكيري الذي نادى به ابن جنيّ في أن اللغة أصوات موقف لا نكاد نعرف له مثيلاً قديماً إلا في الدرس اللغوي و الدرس اللساني الحديثين، ذاك أن دلالات التقاطع تكمن في أن اللغة سواء أكانت نظاماً من الرموز الصوتية أو نظاماً من العلامات الصوتية الاصطلاحية، أو جزء من العلامات السيميولوجية كما يرى دوسوسير، فاللغة تدرس بصفاتها أصواتاً لا على أنها حروف خطية مكتوبة²³، و نلمس من هذا إشارة دوسوسير إلى فصله بين اللغة باعتبارها نظاماً من العلامات الصوتية، وبين أيّ نظام آخر من العلامات، ومنه نظام العلامة الكتابية.

3-2 - علم اللغة وعلم اللسان في واقع التفكير العلمي الحديث:

علم اللغة ممثلاً في الفكر التراثي الذي تبييناه من خلال امتداده بدء من الخليل ووصولاً إلى القرن الرابع الهجري من خلال التنظير العقلي الذي نادى به ابن جنيّ ثم علم اللسانيات الحديث مع رائده دوسوسير، حيث التفكير الحدائي الذي جاء به ابن جنيّ يصب في طائفة المنهج اللساني الحديث، و المقاربة اللغوية هي القاسم المشترك بينهما.

ونرشح أن نبدأ المقاربة من حدّ اللغة باعتبارها بحسب ابن جني²⁴:

أصوات — المادة الصوتية: الصوت اللغوي .

يعبر بها — أداة ، تعبير لغوي .

يعبر بها كل قوم — ظاهرة اجتماعية (التعبير، التبليغ، التواصل)

تعبير عن الأغراض — تمام البيان و الدلالة على المعاني و الأغراض .

حيث يظهر التقاطع مع النظرية اللغوية و اللسانية الحديثة في نقاط عدّة :

. حدّ اللغة والوظيفة، حيث الذي قرره المحدثون و على رأسهم دوسوسير ضمن نظرية علم اللغة الحديث

أو أحد فروعها المختلفة (إمّا من جهة أن اللغة أداة تواصل و نظام من العلامات الشفوية الخاصة بأعضاء مجموعة تواصلية واحدة.

- أو من جهة أنّ اللسان هو الخاصية النوعية التي تميّز الكائن البشري كي يتواصل بواسطة نظام من العلامات الصوتية.

- وجود وظيفة رمزية باستخدام مراكز عصبية أو تقنية جسدية، ويشكّل هذا النظام للعلامات الذي تستخدمه مجموعة معينة.

- ثم يأتي في مرحلة ثانية اللسان والذي هو نسق من الإشارات الصوتية يختص بها قوم و في مرحلة ثالثة يأتي الكلام، و الذي يتعلق بالصيغ الفردية المتغيرة، حيث التعارض بين اللغة و الكلام عند دوسوسير تعارض أساسي.

- التعبير و هو نقل الشيء من التجريد الى المحسوس و الكلام تعبير عن الأفكار .

إنّ المتتبع للدرس اللساني من خلال مساره عبر خط الزمن يمكن تقسيمه الى مراحل ومحطات كبرى، حيث:

المرحلة الأولى: تمثل المرحلة التوفيقية، والتي من خلالها لم تدرس اللغة لذاتها و من أجل ذاتها، إنما كانت تدرس لأجل غايات أخرى تمثلت في الغاية الدينية، الفلسفية، ثم المنطقية، وهذا الطرح كان وليد أسباب خاصة فيما تعلق باللغة العربية، والتي كانت لا تزال في بدايات عهدها التأسيسي و التقعيدي،

المرحلة الثانية: وتمثلت في مرحلة ما يسمى بالمرحلة الفيلولوجية، حيث اللغة كانت تدرس من اجل تتبع أبعادها التاريخية والحضارية، وكذا الاجتماعية.

المرحلة الثالثة: وسمّيت مرحلة المقارنة ذاك أنه صار يعقد المقارنة بين السانسكريتية و بقية اللغات الهندو أوروبية.

المرحلة التاريخية، حيث دخلت اللغة مرحلة التطور بدء من النشأة.

المرحلة الوصفية: وهي مرحلة الحسم في تأسيس الدرس اللساني الحديث، وذلك من خلال رائده دوسوسير، وهو الأمر الذي أحدث قطيعة مع الدراسات السابقة لا من حيث المنهج فحسب، بل من ناحية المادة في حد ذاتها الى جانب الغاية من الدراسة، حيث صارت اللغة تدرس بذاتها ولأجل ذاتها.

ثم تأتي المرحلة التفسيرية مع نعوم تشومسكي، وهذا الأخير اهتم باستنباط قواعد القدرة البديهية لا مجرد الوقوف عند وصف القدرة اللغوية.

إننا لو حاولنا إسقاط هذا الكلام على النظرية التحويلية مع نعوم تشومسكي وجدناه يفرق بين القدرة اللغوية التي يشترك فيها جميع أفراد المجموعة اللغوية، والكلام الفعلي الذي يصدر عنهم بهدف استنباط القواعد البديهية²⁵، والتي أكثر ارتباطها إنما هو من جهة المعنى، والكلام الفعلي يحتل في الحقيقة جزءاً ضئيلاً من القدرة اللغوية، أي أن التحليل اللغوي عند تشومسكي وتلاميذه ليس وصفاً للتركيب الشكلي للكلام فحسب، ولكنه وصف شامل للغة صوتية و صرفية ونحوية ودلالية في الوقت نفسه وفي آن واحد.

3.3 اللغة بين الوسيلة والغاية:

وتدور هذه الدراسة في حقل فيه بعض التشاكل بين علم اللغة و علم اللسان فلا بد في هذا المقام من استجلاء بعض مفارقات هذا التزاوج، حيث علم اللغة كما أشرنا سابقاً يدرس اللغة دراسة موضوعية لتحديد بنيتها، وللمعرفة الكيفية التي تؤدي بها وظيفتها، وللوقوف على تطورها، وأقسامه الأساسية هي علم الأصوات، و علم النظم، و علم الدلالة، و علم المفردات، أما علم اللسان، أو ما يسمى بـ (اللسانيات) فهو الذي يدرس اللغة كنظام علامات، و تتميز اللسانية المحضبة عن السايكو لسانية و السوسيو لسانية بابتعادها عن وصف الدلالات²⁶، ويعتبر دو سوسير اللسانية فرع من اللسانيات.

إننا حين نصف اللغات البشرية بطريقة منهجية وموضوعية وأداء دراسي منظم، فإن هذا السلوك إنما يتم بشقين، شق نظري ويتمثل في الجانب القواعدي للغة، و شق تطبيقي، ويتمثل في الجانب الوصفي التجريبي للغة، وهذا الذي يدعى علم اللسان، وعلى هذا، فإن هذا العلم يقوم على نوعين:

1 علم اللسانيات النظري القواعدي.

2 علم اللسانيات التجريبي التطبيقي.

أما علم اللسانيات العام فإنه يهتم بالسؤال عن كيفية تعريف علم اللسانيات للموضوع اللغوي الذي يعالجه، ومن هنا يصير بالضرورة كل ما يفترضه عالم اللسانيات حول الخواص اللغوية العامة ينبغي أن تتوافر عليه جميع اللغات²⁷.

وبصورة عامة فإن علماء اللغة الآن يرون أن اللغة ذات طبيعة خاصة مما يجعلها تختلف عن أية ظاهرة أخرى من ظواهر هذا العالم، ومن ثم فإن المنهج العلمي الذي يجب أن يطبق على دراستها لابد أن يُعدّل، بحيث يلائم هذه الخصوصية، وبذلك تتحقق الموضوعية في البحث اللغوي، ومادامت اللغة هذه على الحال، فمن الصعوبة بمكان الوصول إلى قوانين عامة تحكم هذه الظاهرة الإنسانية التي تجعلها تختلف عن أي ظاهرة أخرى من ظواهر العالم التي تخضع للدراسة، وهذا ما يؤدي بنا إلى سؤال آخر، وهو ما اللغة؟، وبهذا نكون أمام حلقة

دائرية تبوأنا فيها دورة الفكر من خلال سؤال جدلي ما هذه الظاهرة العجيبة ! التي استوى فكر القدماء والمحدثين في العجز أمامها.

الاشكالية: الى مدى يمكن الاستفادة من الدرس اللساني الحديث في تطوير علوم العربية القديمة أو صناعة درس لساني خاص أم أن الفائدة من اللسانيات الحديثة انها تتعامل مع العربية كحقل تطبيقي لا غير. هذا موضوع منشعب لأنه يتناول جانبين اثنين إما ان يستفاد من اللسانيات المعاصرة لبناء نحو جديد للعربية غير النحو العربي القديم المألوف وهذا النحو الجديد الذي يؤمل درسه تعرض له كثير من الباحثين، فمنهم من كان يرى بضرورة بناء نحو جديد، لهذه اللغة العربية المعاصرة، لأن النحو العربي القديم بني لدراسة اللغة العربية الفصحى الأصيلة القديمة، أو ما يسمى باللغة المعيارية، واللغة المعاصرة تحتاج إلى بناء نحو جديد، وهذا الصدى وجد تطبيقات كثيرة، فعبد القادر الفاسي، وميشيل زكريا، ومازن الوعر، ويوسف عون دراستهم بنيت على مبادئ التوليدية وحاصل الأمر لم يتغير شيء، وظل النحو القديم مسيطراً رغم ظهور بعض الملامح كالتبسيط والتيسير، ونحو النص والأسلوبية .

إنّ ظهور الخطاب العربي الجديد وجّه الدارسين الى النظر اليه بنظرة جديدة وأصبح ينتشر بين مقررات الدراسة الجديدة كالتركيز على أنواع الاساليب الحجاجية والسردية والوصفية بدل تحديد معالم واضحة لهذه الدراسة وظهرت مقاييس بالمقررات الجامعية على شاكلة الاسلوب والاسلوبية، والذي من محتوياته العلاقات التشاكلية التشابكية بين البلاغة باعتبارها علم قديم واللسانيات والصوتيات والانزياح النثري والتداولية باعتبار هذه العلوم الاخيرة علوم معاصرة، فهذا الارتباك الحاصل بين هذا المزيج غير العلمي أدى الى ظهور جدل لغوي في الساحة البحثية عموماً بين معارض رافض. ومؤيد يفتقد الى الدليل الدامغ.

فمثلاً لو اقتصرنا الحديث على النحو العربي في مقابل الدراسات اللسانية الحديثة نجده أقرب الى الانضباط بقواعده وأصوله هذا من جهة، من جهة أخرى النحو بوصفه علم نتائجه وحقائقه وآلياته كفيلة بأن تنقل مزايا الوصف والتقنين والتفصيل التي كانت تسري على العربية الاصلية الى معطيات الدرس اللساني الحديث باعتباره وصف وتقنين وتقعيد للغة ولدت أو انصرفت من لغة أصيلة، بمعنى أن النحو باعتباره خصيصة تراثية وحد من حدود العربية قادر على وصف هذه اللغة الجديدة والتي درجة فصاحتها وأصالتها تقل عن تلك التراثية لا أن ننفي النحو بكل تشكيلاته، ونسعى الى بناء نحو جديد، فهذا فيه دعوة الى القطيعة، قطيعة طال أمدها في كل معطيات الفكر الانساني، والسبيل الوحيد الى تجاوزها وإحداث لحمة بين هذه المعطيات هو توحيد مصادر المعرفة بشقيها القديم والحديث .

إنّ الفارق بين اللسانيات القديمة والحديثة يتحدد في جوانب عدة من أهمها :

انتقال الدراسة من الظواهر والقواعد اللغوية الى دراسة اليات التي تولد البنيات اللغوية وتولد القواعد التي تنتج اللغة اي انتقل البحث اللساني من البحث في اللغة الى البحث في نحو اللغة، وحين نقول اللغة نحن نقصد

اللغة في كل حدودها ومستوياتها سواء الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو الدلالية، أو الأسلوبية، أي كيف شكل هذا النحو وبنيته؟

الأمر الثاني: إن الدراسات اللغوية انتقلت من الاهتمام بلغة خاصة إلى الاهتمام بنظرية اللغة الانسانية عامة بغض النظر عن الأنماط والأنواع أما المدارس اللسانية التي تندرج في إطار اللسانيات المعاصرة فهي كثيرة ومتشعبة وتعددتها راجع إلى تعدد الأسس الفكرية والفلسفية والمعرفية التي تنطلق منها كل مدرسة لقد بدأ البحث اللساني مع دوسوسير باعتباره حامل لواء التجديد في مجال البحث اللغوي ومحقق القطيعة المنهجية بين الدراسة التقليدية والتي كانت تحصر دراسة اللغة في الاعتبار الاجتماعية والتاريخية والمعرفية، وفرضت اللسانيات الحديثة منهجا وصفيا صارما يعتمد على ثنائية الدال والمدلول، وعلى عدّ البنية اللغوية بنية مغلقة لا تتأثر بالعوامل الخارجية هذا جانب لا بد من معرفته لأن معرفة النشأة والبداءات يؤثر في المآلات

مصطلح اللسانيات العربية مستعمل بكثرة، وقد كتبت المئات من الكتب المعاصرة تحمل هذا الاصطلاح، أو هذه الضميمة، أو هذا التلازم الاصطلاحي مصطلح اللسانيات العربية أو الخطاب العربي، والذي يعني في مجمله الخطاب الذي تعكسه الكتابات اللغوية التي تعتمد نظريا ومنهجيا على المبادئ التي قدمتها اللسانيات في مختلف اتجاهاتها الغربية منذ مطلع القرن العشرين، فهذا الخطاب اللساني هو ذو نزعة حديثة لا تتجاوز نشأته السبعينيات في العالم العربي مستمد من الأدبيات الغربية في دراسة اللغات الطبيعية دراسة علمية، وقد أصبح هذا العلم مستعارا في سائر الثقافات العالمية، وعلى الرغم مما يشوب مصطلح اللسانيات في العالم العربي من انفلات وتشعب واختلاف وتشتت، وتعدد مجالات، فإنه أصبح أمانة على التحديث في مناهج الدرس اللغوي والبلاغي وأسلوبه، وتجاوز الطرق التقليدية والتي كانت متبعة في تناول الظاهرة اللغوية، بل غدت اللسانيات اليوم رائدة عندما حققت لنفسها طابع الشمول والتفرد والخصوصية جسرا تعبره العلوم الانسانية في تحصين مواقعها، فنلاحظ أن اللسانيات فرع رئيس من فروع العلوم الانسانية، لأن هذه الأخيرة تستعمل اللغة في الخطاب، واللسانيات مسؤولة عن إنتاج هذه اللغة، فاللسانيات ذات حمولة مفهومية ومعرفية، وبين ما تحمله العلوم العربية من المعنى القديم لأسباب عدة منها:

اللسانيات دراسة منهجية علمية للغة البشرية عامة، أما علوم العربية فهي دراسة تتناول جوانب من العربية خاصة كالجانب النحوي أو الصرفي أو البلاغي، وغير ذلك.

الأمر الآخر هو أن اللسانيات شعبة من شعب العلوم الانسانية، لأنها تتناول ظاهرة لغوية وتعتمد على مبدأ النمذجة اللسانية على افتراض الآليات التي تشتغل بها اللغات البشرية، والتي أيضا من أولوياتها الثقافة توطين اللسانيات في الثقافة العربية وأولويات البحث اللساني:

توجد هناك أزمة لتوطين البحث اللساني في الثقافة العربية، وتتمثل في المجالات والمنهج وأقسام الدراسة والاولوية وهذه الازمة ليست خاصة، بل هي عامة أصابت البحث العلمي على جميع المستويات الجامعية في العالم العربي، حيث هذه المعارف تحلت بطابع غربي و الجسم العلمي العربي القديم لم يتأثر بهكذا صدمات، بل استوعبها كونه مزود بمضادات الغربة التي تدخل عليه، أي أن المعطيات في العلوم التراثية قد تمرست من خلال الإنتاج والإبداع في العلم، وتعتبر أن هكذا أزمة قد تكون حافزا في تطوير ساحة اللسانيات العربية كي تواكب هذا التطور الغربي المزعوم.

نقطة أخرى هامة هي أن الازمة أيضا نابعة من منطلق التلقي الأول لهذه العلوم، حيث خلفياتها الفلسفية زرعت في نفس المتلقي العربي الريبة والشك خصوصا أن هذه العلوم تدعو الى القطيعة بين الماضي التراثي والحدائي الجديد، بينما الأصل في العلوم أن تتكامل وتتظافر لضمان الاستمرارية اعتقادا منا أن العلم رحم بين أهله وحملته بما يخدم الانسانية عامة، وهذه إحدى أهم مرامي الثقافة العربية الاسلامية.

الفكر الغربي مستنبت في أرضه فلا يصح أن يصبح مستنبت في العالم كله، فها هو "تودوروف" السيميائي السردى اللساني يقول.. صورة الآخر تحيل الى واقع من يركبها وتعبّر عنه أكثر مما تحيل الى واقع من ركبت له وبنيت له وهنا يميز "تودوروف" في كتابه "نحن والآخرين" بين الذات وهي جماعة ثقافية واجتماعية تجمعها خصائص وبين الآخرين الذين يختلفون عن الذات في تلك الخصائص.

المصطلح اللساني: هو أيضا مظهر من مظاهر الازمة وهي مشكلة نشأت عندما اتصل درس اللغوي العربي باللسانيات الغربية، وعاش هذا المصطلح مرحلة فوضى وخلط واضطراب

4. خاتمة:

تعدّ اللغة أداة من أدوات التعبير عن المدركات، ووسيلة من وسائل الاتصال الاجتماعي تتجاوز في رسالتها مستوى التعبير والتبليغ، فقد ظلت العربية على وجه الخصوص تحمل لونا من النظم والذوق والأنس، تحسّسها الأعراب بفطرتهم، فظلوا حراسا لها، فقويت في ثوبها التراثي، وما زالت تستقطب اهتمام الدارسين الى يوم الناس هذا.

إن المادة التي يسعى علم اللغة الى دراستها ليست اللغة التي تنتظم في نظم وأشكال إنسانية تسمى اللغات الفرنسية والانجليزية أو غيرها، هذه الصور المتعددة المتنوعة هي واحدة في جوهرها، وإنما تتمثل في اللغة عندما تتجرّد من هذا الطابع، وتظهر في صورة نظام عام واحد، أو صورة مجردة تخضع لها كل اللغات الإنسانية، هذه هي اللغة التي تشكل المصّب الذي تلتقي عنده روافد الدرسين اللغويين التراثي والحديث.

6. المصادر والمراجع:

- 1 بلملياني بن عمر، تراث ابن جنيّ اللغوي والدرس اللساني الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر 2006م
- 2 بكري عبد الكريم، أصول النحو العربي دار الكتاب الحديث، ط 1/1999م
- 3 ابن جنيّ، الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية
- 4 حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2000 م
- 5 مكي درار المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، السانبا، الجزائر.
- 6 نذير بيرى الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، ديوان الوقف السنيّ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط 1/2009م.
- 7 محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 5/1996م
- عبد العال سالم مكرم، المفصل في تاريخ النحو العربي، بيروت، د ط، 1979م.
- رشيد حليم، المنهج اللغوي والبحث اللساني، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط 1/2011م،
- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط 2/1972م
- محمد الغريب عبد الكريم: البحث العلمي، التصميم والمنهج والإجراءات، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1982م
- 7- هوامش البحث:

¹ حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2000 م، ص 9

² محمد الغريب عبد الكريم: البحث العلمي، التصميم والمنهج والإجراءات، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1982م، ص 77.

³ ينظر: المرجع السابق، ص 10 و ما بعدها .

⁴ حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، ص 18

⁵ طالع: محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 5/1996م، ص 153.

⁶ طالع: المرجع نفسه، ص 166. 167.

⁷ رشيد حليم، المنهج اللغوي والبحث اللساني، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط 1/2011م، ص 49.

⁸ المرجع نفسه، ص 50.

⁹ نذير بيرى الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، ديوان الوقف السنيّ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط 1/2009م، ص 26.

¹⁰ ينظر: رشيد حليم، المنهج اللغوي والبحث اللساني، ص 50.

¹¹ ينظر: المرجع نفسه.

¹² ينظر: المرجع السابق، ص 26

- ¹³ ينظر: بكري عبد الكريم، أصول النحو العربي دار الكتاب الحديث، ط1/1999م، ص 108.
- ¹⁴ ينظر: مكي درار المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، السانيا، الجزائر، ص 64.
- ¹⁵ ينظر: بكري عبد الكريم، أصول النحو العربي، ص 108.
- ¹⁶ ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط2/1972م، ص 276.
- ¹⁷ ابن جني، الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، ج1/18.
- ¹⁸ المرجع نفسه.
- ¹⁹ عبد العال سالم مكرم، المفصل في تاريخ النحو العربي، بيروت، د ط، 1979م ج1/145.
- ²⁰ ابن جني، الخصائص، ج1/143.
- ²¹ ابن جني، الخصائص، ج1/143.
- ²² ابن جني، الخصائص، ج1/143.
- ²³ ينظر: بلملياني بن عمر، تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر 2006م، ص 15، 16.
- ²⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 17.
- ²⁵ حلبي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، ص 19.
- ²⁵ ينظر: بلملياني بن عمر، تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر 2006م، ص 23، 24.
- ²⁵ ينظر: المرجع نفسه